لقد خاض ممثلو الرومانتيكية الرجعية في اوروبا (شاتوبريان ونوفاليس وغيرهما) نضالا لاهوادة فيه ضد الفكر التقدمي الذي ولد مع الثورة وضد المجتمع الجديد الذي نشأ نتيجة لها .

وعكس الرومانتيكيون التقدميون (بايرون وشيللي وهيجو وجورج صاند) في ابداعهم مصالح جماهير الكادحين الواسعة ، وكان ابداعهم مشحونا بالروح الديمقراطية ، وكثيرا ماكان مرتبطا بالنضال الثوري وحركات التحرر الوطني وتعاليم الاشتراكيين الطوباويين الأوائل (سان سيمون ، وفورييه واوين) . وقد حملت اعمال الرومانتيكيين التقدميين طابعا ثوريا واضحا في بعض الأحيان ، مما يجعل مصطلح « الرومانتيكية الثورية » صحيحا وصالحا بالنسبة الى ادباء مثل بايرون وشيللي .

ولكننا لانستطيع ، في الوقت نفسه ، ان نتجاهل ان قضايا الثورة الشعبية والشعب الثوري قد عولجت عند بعض الكتاب الرومانتيكيين التقدميين معالجة متناقضة في فترات ابداعهم المختلفة (هيجو ، جورج صاند) .

سبق أن اشرنا الى أن ظهور الرومانتيكيين الرجعيين في جميع البلدان كان في اواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بصورة أساسية .

اما بروز الرومانتيكيين التقدميين فكان في فترة متأخرة عن ذلك ، اي في نهاية العقد الأول وفي العقدين الثاني والثالث من القرن التاسع عشر ، اذ اخذت التناقضات الأساسية في المجتمع البرجوازي تظهر للعيان على نحو أشد وضوحا .

الاسس الفلسفية للرومانتيكية :

ليست الرومانتيكية مجموعة من الأساليب الفنية ، ولا يمكن حصرها بتسلسل الأحداث الخيالي والتداخل المثير حيث يجري حل التناقضات الدرامية المعقدة بواسطة المصادفات والقدر وتكشف الأسرار ، وبوجود شخصيات « رومانتيكية » — قطاع طرق نبلاء واناس اشرار ومشوهون وشخصيات غامضة وما شابه ذلك .

ان كل ذلك يجب أن يجد تفسيره اصلا في نظرة الكاتب الرومانتيكي الى العالم وفي فلسفته العامة .

فاذا اخذنا بعين الاعتبار تعقد هذا الاتجاه الأدبي وخطر الوقوع في التبسيط المبتذل عند تحديده ، يجب علينا ان ننطلق في تحديد الرومانتيكية من تحديد اساسها الفلسفي .